

(٢٨) خطبة له ﷺ في التذكير

بيوم الحشروما فيه من أسرار

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يخطب على المنبر، يقول:

« إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ حُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا^(١) .. وزاد في رواية: «مُشَاءً» .

وفي رواية، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة، فقال:

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ .. إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا..

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعِنْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾^(٢) .

ألا وإن أول الخلائق يُكسى: إبراهيم عليه السلام^(٣)، ألا وإِنَّهُ

سَيَجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ^(٤)، فاقول: يا رب..

أصحابي، فيقول: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ^(٥)؟ فاقول كَمَا قَالَ

العبدُ الصَّالِحُ: ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُعْتُ فِيهِمْ ... ﴾^(٦) إلى قوله:

(١) الغرل- بضم الغين المعجمة وإسكان الراء-: جمع أغرل، وهو الأكلف .

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٤ .

(٣) فإنه خليل الرحمن وخير البرية بعد نبينا -عليهما الصلاة والسلام .

(٤) يعنى: إلى ناحية الشمال تمييزاً لهم وذلك بسبب إحدائهم فى الدين وكفرهم بعد

إيمانهم . (٥) من الفتن والأهواء .. التى فرقوا بها دينهم .

(٦) «ما»: مصدرية ظرفية، أى: مدة وجودى فيهم قبل أن ترفعى إليك .

﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) . قال : فَيُقَالُ لِي إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَيَّ
أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ (٢) .

وزاد في رواية : « فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا » (٣) .

(رواه البخارى، ومسلم، ورواه الترمذى والنسائى بنحوه)

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« يُحْشَرُ النَّاسُ (٤) حُفَاءَ عُرَاءٍ غُرْلًا (٥) » . قالت عائشة : فقلت :

الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض (٦) ؟ . قال : « الأمر أشدُّ
من أن يهتهم ذلك » (٧) .

وفي رواية : « من أن ينظر بعضهم إلى بعض » .

(رواه البخارى، ومسلم، والنسائى، وابن ماجه)

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :

(١) سورة المائدة : ١١٧ ، ١١٨ .

(٢) أى : لم يزالوا راجعين عن طريق الحق والصواب مائلين إلى طرق الغواية
والضلال .

(٣) أى : بعداً بعداً، ومنه مكان سحيق، أى : بعيد .

(٤) أى : يساقون إلى موقف القيامة . . وأصل الحشر : الجمع .

(٥) أى : على هيئتهم التى خلقوا عليها أول مرة كما ولدتهم أمهاتهم فلا نعال ولا ثياب
ولا ختان .

(٦) يعنى : أيحشر الرجال والنساء جميعاً على تلك الهيئة فينظر بعضهم إلى عورة
بعض ؟ .

(٧) يعنى : أن شدة الهول والفرع فى ذلك اليوم جعلهم لا يلتقون بالأمثل هذه الأمور .

«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَرَاءَ حَفَاءَ». فقالت أم سلمة: فقلت: يارسول الله... واسوأته (١) ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: «شَغَلَ النَّاسُ» (٢). قلت: ما شَغَلَهُمْ؟ قال:

«نَشَرُ الصَّحَافِ فِيهَا مَنَاقِيلُ الدَّرِّ، وَمَنَاقِيلُ الْخَرْدِلِ» (٣).

(رواه الطبراني في الأوسط بإسناد صحيح)

في هذه الخطب، أو هذه الأحاديث يذكرنا النبي ﷺ بحقيقة مهمة يجب أن لا تغيب أبداً عن عقولنا وقلوبنا، وهي أننا جميعاً سنُحْشَرُ يوم القيامة كيوم ولدتنا أمهاتنا:

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ (٤).

وهذا معناه أن الإنسان العاقل هو الذي يذكر ذلك حتى يكون دائماً وأبداً متواضعاً لله تعالى حتى يرفعه الله تعالى إلى الدرجة التي بها يكون أهلاً لرحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة.

(١) أى: وا عورتاه، ووا فضيحتاه... فهو منصوب على الندبة. والسوءة: العورة والفاحشة والخلة التيبيحة.

(٢) أى: نزل بهم ما شغلهم عن التفكير في ذلك الميل الجنسي بين الرجال والنساء.

(٣) معنى: أن صحفهم التي يعطونها في هذا اليوم قد أحصى فيها كل صغير وكبير من

أعمالهم كما قال تعالى: ﴿ وَرُؤِضَ الْكِتَابِ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ

يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۗ ﴾ [الكهف: ٤٩]

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٤.

وإذا كان الإنسان العاقل سيذكر هذا، فإنه لن يكون من هؤلاء المزهوئين بأنفسهم بتلك الصورة التي نراها في كثير من الناس، والتي إن دلت على شيء فإنما تدلُّ على أن هؤلاء لا يذكرون نهايتهم، ولا يذكرون أهمهم الأرض التي مصيرهم إليها :

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (١).

ثم إذا كان الرسول ﷺ، قد أشار بعد ذلك إلى أنه سيجاء برجال من أمته فيؤخذ بهم ذات الشمال . . فيقول صلوات الله وسلامه عليه :
« يَا رَبُّ .. أَصْحَابِي . فيقولُ اللهُ تَعَالَى : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ ».

فهذا معناه أنه لا بد لكى يكون الإنسان من أهل اليمين لا من أهل الشمال : لا بد وأن يكون بعيداً عن كل المحدثات فى الدين، وفى الحديث الشريف :

« .. فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ».

(١) سورة طه : ٥٥ .

هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء الذين أحدثوا بعد رسول الله ﷺ لن يشربوا من حوضه ﷺ ، فقد ورد أن النبي ﷺ قد قال مشيراً إلى هذا:

« أَلَا لِيُذَادَنَّ رَجَالٌ عَن حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ . أَنَادِيهِمْ : أَلَا هَلُمَّ ، فَيُقَالُ : إِنَّهُمْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ : سَحَقًا سَحَقًا » .

(من حديث رواه مسلم)

فالخير كله في الاتباع ، والشر كله في الابتداء .
ثم إذا كان الرسول ﷺ قد أشار أيضاً إلى ما في الموقف الكبير - يوم القيامة - من أهوال وشدائد ستجعل أهل الموقف في شدة تشغل كل واحد منهم عن مجرد النظر إلى عورة أخيه ، لأن الأمر سيكون أشد من ذلك : فلا بد - إذن - أن يكون هناك استعداد لهذا اليوم الذي يقول الله تبارك وتعالى فيه :

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ (١)

ويقول تعالى :

﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢)

(١) سورة الانفطار : ١٩ .

(٢) سورة المطففين : ٦ .

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ (١) رَاغِبِينَ وَرَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشَرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارَ. تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيْتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أُمْسُوا» .

(رواه البخارى ، ومسلم)

(١) جمع طريقة ، وهى الحالة أو الصفة .